الفرع الثاني

حاجة الناس إلى الدعوة الإسلامية

الناس في كل زمان ومكان بحاجة إلى الدعوة إلى دين الله، وإلى بيان شرع الله، ولا يوجد مجتمع قط في المجتمعات الإنسانية، استغنى فيه عن التدين، سواءً كان هذا التدين صحيحاً أم باطلاً.

لكن ما أريد أن أؤكد عليه الآن أن الإنسان بحاجة إلى أن يتعرف على هذا الكون الذي يعيش فيه أي الوجود المشهود، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وخلق هذا الكون وما فيه من أرض وسماء ومخلوقات وأراد أن يبتلي ويختبر الإنسان في هذه الحياة، قال تعالى:

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[1]

﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝ ﴾[2].

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝ ﴾[3]

والإسلام بهذا التقرير القاطع، يفسر لنا كثيراً من المبهمات التي لا تستقيم أبداً مع حكمة الخلق، وإحكام الصنع وخلق الإنسان.

"فالعدل يقتضي أن ينصب الميزان وأن يتم الحساب، وأن يقع الجزاء، وهذا ما قرره الإسلام وإلا كان عبث الخلق أوسع مدى من أن تتصوره أذهان البشر، ولكن الإسلام يحسم القضية ويحكم فيها بتكريم الإنسان ويجعله مسئولاً عن عمله ملاقياً جزاءه؛ قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا

---

(١) سورة الإنسان الآيتان ٢، ٣.

(٢) سورة الملك الآيتان ١،٢.

(٣) سورة الكهف الآية ٧.

بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾(١) .

والتقريـــر بهذه الصورة مع كونه يكرم الإنسان إلى أبعد حدود التكريم ويميزه بالمسئولية والجـــزاء عن سائر المخلوقات يفسر أيضاً حكمة الخلق وأن الإنسان خلق لغاية ينشدها ويتعلق بها وهي التي تبرز معها خصائصه وتنطلق مواهبه"(٢) .

إن هـــذه الحقائق الثابتة السليمة لا يمكن أن يتعرف عليها الناس إلا من خلال الدعوة الإســـلامية الـــتي ترمـــي إلى تحقيق السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة لكل من رضى بالله رباً وبالإســـلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً وبالقرآن والسنة دستوراً "لقد بعث الله ﷻ كل رســـول من رسله عليهم السلام بحقيقة التوحيد، ومنهج الرسل عليهم السلام هو منهج الفطرة الموصول بالوجود، وخالق الوجود ولو كان العقل الإنساني وحده كافياً لبلوغ الإنسان به غاية الهدى والكمال ومعرفة المصلحة لحياته في دنياه وآخرته، لما أرسل الله تعالى إليه الرسل -عليهم السلام-، وقد عانوا ما عانوا في سبيل هذه الغاية.

غير أنه سبحانه يعلم أن العقل أداة قاصرة بذاتها عن الوصول إلى الهدى، بغير توجيه من الرسالة فأراد الله أن يبعث الرسل وألا يؤاخذ الناس إلا بعد الرسالة والتبليغ، والعقل الإنساني لا يـــستقل بالإحاطة بجميع المطالب، ولكنه يستطيع ذلك بالتلقي عن الرسالة والفهم عن الرسول ﷺ الذي من أولى مهماته التبليغ، وتنبيه العقل إلى تدبر دلائل الهدى، وموجبات الإيمان.

ولـــيس وظيفة العقل أن يكون حكماً على الدين ومقرراته من حيث الصحة والبطلان والقـــبول أو الـــرد إن الرســـل عليهم السلام قد أيقظوا العقل، ووجهوه، وقوموا منهج النظر الصحيح إلى الأمور.

والمـــناهج الـــتي خطها الرسل عليهم السلام هي الصراط الذي تستوي عليه الإنسانية صاعدة إلى الكمال بعيدة عن مزالق الفتن وهو الفطرة المستقيمة.

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٧.

(٢) انظـــر: الدعـــوة الإســـلامية دعوة عالمية – محمد الراوي ص ٥٧٣-٥٧٤، ط١ ١٤١٥هـــ-١٩٩٥م- مكتبة العبيكان- الرياض- السعودية.

ومن مناهج الرسل عليهم السلام في الدعوة إلى الله ﷻ بعث الحساسية الخلقية وتنشئة الضمير المحاسب والقوة التي يتغلب بها على شهوات الجسد ونوازع النفس ووسوسة الشيطان.

وهـــذه الأمـــور لا يستطيع غير منهج الرسل عليهم السلام الوفاء بها؛ لأنها ليست من مقـــدور العلم ولا هي في طوق العقل وإنما هي من نتائج الإيمان، والمنهج الذي جاء به الرسل عليهم السلام، هو القوة التي تمسك بيد الإنسان حتى لا ينسى نفسه ومصيره ويسمو فوق ذاته ويخرج من سيطرة الأوهام إلى طمأنينة الإيمان والثقة بالنفس ويبحث عن وجوده الحق ويؤدى دوره في الكون الفسيح الذي سخره الله له.

والمـــنهج القويم الذي جاء به الرسل عليهم السلام، يحقق السعادة للفرد والمجتمع، لقد دعوا الفرد إلى تربية نفسه بكفها عن شهواتها وتزكيتها وتطهيرها، قال تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [1] .

ومـــنهج الرســـل لـــه الصلاحيـــة المطلقة والقدرة على تحقيق السعادة للفرد والمجتمع والدعوة إليه متجددة، باقية ما بقيت الحياة سائرة في الطريق الصحيح الذي توالى الرسل عليهم السلام يدعون إليه حتى أسلموا الراية إلى خاتم النبيين ﷺ الذي أوضح القرآن الكريم منهجه في الدعوة التي أرسله الله بها إلى العالم كله رحمة له.

إن الحق الذي دعا إليه الرسل عليهم السلام لا يستغني عنه الفرد في علاقته بالجماعة أو فـــيما بينه وبين سريرته المطوية حتى عن أقرب الأقربين، ولا تستطيع أية جماعة أن تستغني عنه وتستريح"[2] .

إن صلاحية منهج الرسل عليهم السلام وقدرة هذا المنهج على تحقيق سعادة الفرد والمجتمع والأمة تستلزم، قيام الدعاة إلى الله تعالى بالدعوة لهذا المنهج القويم، وإن دعوة نبينا

---

(١) سورة النازعات الآيات ٣٧-٤١.

(٢) انظر:الدعاة إلى الله في القرآن الكريم ومناهجهم- د/محمد طلعت أبو صير- ص ٢٧٧-٢٨٩-ط١-١٤٠٦هـ-١٩٨٦م- المطبعة العربية الحديثة- القاهرة - مصر.

محمد ﷺ جاءت للناس كافة قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [1].

(١) سورة سبأ الآية ٢٨.